ISSN: 1112-4938, EISSN: 2600-6456

# ملامح فلسفة فريديريك نيتشه في رواية الناجون لـ: الزهرة رميج

## قراءة في فلسفة إرادة القوة و الجمع بين المتناقضات

بقلم

**أ. نوال أقطي** (*)

**ملخص**

يعرض هذا البحث لملامح فلسفة نيتشه في رواية الناجون لـ: الزهرة رميج لما ثمة من تشابك بين المنجزين الفلسفي والسردي، فقد اتفقت الساردة مع نيتشه في مبدأ إرادة القوة المثبت للذات والمسهم في إدراكها للوجود. وينتظم هذا البحث ضمن أربعة أبعاد جاءت على النحو التالي: 1- الوجود وتماهي الأضداد. 2- المكان (زحف النقيض نحو نقيضه) 3- الزمن (سلطة محو التضاد) 4- الذات بين فعلين.

**الكلمات المفتاحية**: الجمع بين المتناقضات، إرادة القوة، الصراع، فعل المقاومة، الذات.

### 1- الوجود وتماهي الأضداد:

ينبني هذا الوجود من متناقضات تشكل عناصره المختلفة، ولكن قد تتلاشى الحواجز الفاصلة بين الضد وضده ليتولد من تلك القطبية عنصر جديد، يقول هيجل" إن كل فكرة توجد، يوجد معها نقيضها الذي يهدمها، ومن تصادم النقيضين يحدث ميلاد فكرة جديدة [(1)].

وترى المادية الجدلية أن الحركة التطورية، تتم نتيجة الصراع بين المتناقضات[(2)]، لكن من غير أن يقضي هذا الصراع على وحدة الشيء أو الظاهرة.

فقد ينشأ الضد من ضده كما في قول "زهرة رميج": **(فكما أن النظام يوجد داخل الفوضى، كذلك يوجد الانسجام داخل الاختلاف!)** [(3)]، فاتصال المختلفين يشي بقانون التقابل والتجاور المثبت لحركية الحياة ولا ثباتها.

ومن هنا يمكننا القول «إن الحياة قائمة في أبسط جزئياتها (الأجسام المعدنية، النبات، الحيوان)

---

(*) أستاذة مساعدة بقسم الآداب واللغة العربية، كلية الآداب واللغات ـ جامعة محمد خيضر بسكرة.
nauoel.nauoel.agti@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2017/09/26 تاريخ القبول: 2018/06/16

على مبدأ صراع المتناقضات: صراع الجديد ضد القديم، وصراع العناصر الناشئة المتوثبة ضد عناصر الخمول والتداعي والتفكك، إنه مبدأ إرادة القوة هو الذي يحرك الحياة. »(4)، وهذا المبدأ هو الذي قال به نيتشه.

وفي اتصال المتناقضات ترى "زهرة رميج" أن القبح يمثل الجمال فتقول: **(اكتشفت أن القبح يمثل الجمال له نفس التأثير على العين! العين تعجز عن إطالة النظر إما انبهارا بسمو الجمال أو ارتعابا من بشاعة القبح!)(5)**

إنها فلسفة خاصة بالوجود نابعة من امتزاج القبح والجمال، إذ لا فرق بين الاثنين لكونهما مؤثرين يعملان على المفاجأة والاندهاش، فما نراه من تضاد ظاهر بين النقيضين يمكن أن نفنده في الحقيقة، ولهذا «يبحث الإنسان دوما عن الحقيقة عن عالم لا يناقض نفسه لا يخدع ولا يتغير، عن عالم حقيقة لا معاناة فيه، فالتناقض والوهم والتغيير هي أسباب المعاناة.!»(6)

معنى هذا أن فلسفة المزج بين المتناقضات تمحو معالم التغيير والاندثار في هذا العالم، وتقضي على أسباب معاناة الذات في الشعور بالعدم.

ولأن العالم كما يقول كانط بداية في الزمان محدود مكانيا فلا بد من دراسة إحداثيتي الزمان والمكان.

## 2- المكان (زحف النقيض نحو نقيضه):

**1.2- السجن:** هو المكان القاهر لكرامة الذات، يختزل المتعة، ويسقط الإنسان في جبرية التجرد من جل وثائقه الحياتية، ولا يحتفظ له إلا بالكيان العددي، ليفتح طريقا نحو ماديته وتشيئه «إن جوهر الأشياء العدد»(7).

إنه «هيكل بنائي أقيم إما للقمع، وإما للتأديب والعقاب»(8) ومكان مخضع لنزيله، سالب لكل خصوصياته، فيه يذل ويحط الفرد، وتبرز من خلاله دلالات الانتهاك.

ولقد تمثل هذا الفضاء بدلالتين: سلبية وإيجابية، قهر وظلم، مقابل الإرادة والتحدي.

تقول الساردة:**( أكيد أنك ستستغرب هذه الكلمة وأنت تقرأ الرسالة، إذ هل يعقل أن توجد السعادة في زنزانة؟) كان ذلك اليوم مميزا بنهاره وليله! ليس فقط بسبب المعاملة الحسنة التي عاملنا بها الضابط الجميل، ولا بسبب زيارة والدي التي أسعدتني غاية السعادة، ولا بسبب الأكل الشهي الذي تناولناه لأول مرة، مذ حللنا بذلك المكان الرهيب، وإنما بسبب حادثة وقعت في الزنزانة..)(9)**

تتحول الزنزانة من مكان للعذاب إلى آخر للسعادة، حيث يصبح المكان المحاصر جسر تواصل مع الآخر، تتمكن فيه الذات من ممارسة الحياة في دائرة مركزها الموت.

إذ يكفي أن هذه الكبسولة الحابسة للحراك لم تعطل مجال الوصال والألفة، بل جعلت الذات

تعيش السعادة مثلها مثل غيرها في فضاء الحرية الخارجي وتلك هي إرادة القوة.

إن إرادة القوة -كما يقول نيتشه -تجعل الذات تخلق نفسها بنفسها، وتراودها الرغبة في الرجوع والالتجاء إلى حضن الواقع الأوحد[10]، هي لعبة العودة المستمرة إلى المركز، التي تشي بلذة الحنين إلى الجذور، وتظهر طبيعة حاجة الفرد إلى الكل.

وتقول الساردة أيضا: (**كنت متلهفة على دخول زنزانتنا الحبيبة التي نمارس فيها حريتنا... نعم حريتنا! لا تستغرب!.. فقد كنا نحس بالأمان وبالحب! ما دام أبا فالح يجلس خلف الباب، لم نكن نشعر بالأعين تتلصص علينا، ولا بالآذان تسترق السمع لكلامنا... لذلك، كنا نطلق العنان لأنفسنا، ونتركها تتحرر من الضغط الفظيع الذي كنا نمارسه علينا طيلة النهار ونحن في مقر الاستنطاق مخافة الانزلاق... ألا يمكن لكلمة واحدة غير موزونة تنفلت في حالة شرود، أن تهدم كل ما حققناه حتى الآن؟**)[11]

بالنظر إلى مكان الزنزانة، المثبت لقانون المحدودية الصارمة -التي تطوق الفضاء السجني -فإن الذات التي تتعرض للعزلة لا تستسلم، بل تتخطى القيد وتنفلت من ربقة المواجع كلها، لتمتطي ثيمة التكيف، التي أطرت مسار الفصل بين الروح والجسد.

فإلزام الذات الإقامة في مكان الحصار الجبري، قادها إلى التخلص من إشكالية اللذة، وأقحمها في مجابهة الشهوة، فكان منبر الزهد محرابها، الذي ميز حضورها الواثق الحاوي لجمالية الصمود والإرادة، ومن ثم تحولت الزنزانة إلى مكان للحرية.

إن «تجربة السجن مرآة تنعكس فيها رؤى وصور المواجهة..، بين ((..الأنا)).. و((الآخر))..داخل مساحة ضيقة، يغدو فيها المكان -المعتقل مرادفا للإنسان -المحتل، مما جعل العلاقة بين السجين والسجن، تتعقد وتتوسع وتتجذر في مربع من الورق، يستنطق فيه [الأديب] عوالم، دلالية زاخرة، تسهم في إضاءة غوامض علاقة الذات بالذات من جهة، وعلاقتها بالآخر من جهة ثانية. وذلك في حيز مادي مغلق لكنه مفتوح تاريخيا على آفاق رحبة من الخيال والجمال، والبطولة والشهادة»[12]، هكذا تتحول المواجع المرهقة التي تصاحب الذات في أماكن العزلة إلى طاقة محفزة تتيح للذات إعادة قراءة بواطنها، حيث تستطيع النفس مواجهة نفسها والاختلاء بها، حتى تتمكن من معرفة ذاتها ومعرفة الآخر.

وإذا ما تحول المكان المغلق(السجن) إلى فضاء مفتوح فيما ذكر آنفا، فإن العكس جار في حديث الساردة عن المكان المفتوح (البحر)؛ لأن الأمكنة تعيش الظروف نفسها، إذا أُخضِعت لمرايا الرؤى الضيقة، بينما تزيد انفتاحا، إذ ما تعلقت بالرؤى الانفتاحية.

### 2.2- انقلاب البحر إلى ضده:

إن خصوصية الاتساع والعمق والانبساط التي يتميز بها البحر، تسوق كثيرا من الخوف

والضياع والقلق، الذي يعرض مساحة المجهول، ويوضح إشكالية العمق والجوف المتصلين بالسطح، ويطرح صور المنفى والانعزال.

ويمكن تصور البحر «حدا وحاجزا ممتدا حتى الأفق، وسعة ملحة كلية الوجود رائعة ومليئة بالألغاز »[13]،إنه المجهول الذي يغذي غريزة استسلام الذات لزمن المستقبل.

تقول الساردة: **(البحر أيضا خال! لا حركة ولا صوت غير حركة الأمواج وأصواتها الهادرة! أحسست بجسدي يتعش وهو يتشرب رائحة البحر، أشعر بهذا الانفصال الغريب بين جسدي وروحي! لأول مرة، لا يتوحدان ذلك التوحد الرائع الذي أشعر به كلما عانقت البحر! كيف تنتعش روحي وأنا أشعر أن البحر الفسيح... هذا البحر الأزرق الجميل، يفصلني عنك! ألست الآن وراء البحر؟ ألا يقف هذا البحر سدا منيعا بيني وبينك، وكأنه حائط برلين أو خط بارلييف؟ كلاهما سيان ما داما يرمزان معا إلى القهر والحرمان من نعمة الحرية! أرأيت ما الذي يفعله بي غيابك؟ أرأيت كيف انقلب البحر إلى ضده؟ البحر الذي كان بالنسبة لي دوما، رمز الحرية والانطلاق والسعادة العظمى، انقلب إلى ضده، إذ لم أعد أراه إلا رمزا للقهر والظلم والشقاء! .... كم هو قاس هذا البحر! ها قد صرت أكرهه بعدما عشقته طوال حياتي الماضية!)**[14]، ومن ثمة فثنائية (البحر الحرية/ البحر القهر) هي الصورة التي ترفع المحسوس إلى قمم المجرد، وتمد الجسور بين المتناقضات لتتلاءم مع الارتياب النفسي الداخلي الذي يجعل المخيال السردي يعيد ترتيب أثاثية الأمكنة، وسن قوانين مغايرة.

إن المكان يشهد على وجود ذاتي، فيصبح متواصلا مع الكيان البشري؛ لأنه «فكرة حسية، نقدر أن نعاينه ونتثبت منه، بينما الزمان مقولة تجريدية خادعة ومضللة، إننا لا نستطيع أن نلمسه و نراه مع أنه الهواء الذي نستنشقه، هو التاريخ...»[15]، لذا فالمكان هو المساحة التي تنبثق من داخلها فلسفة التحرر، والفكاك من سطوة الإمبراطورية الزمنية القاهرة.

وحقيقة هذا الزمن تزيد الإنسان خشية وتوثق لقالب الانفصال، غير أن إرادة القوة تمكن الذات من ربط علاقات بين الفواصل الزمنية المختلفة.

### 3- الزمن (سلطة محو التضاد):

إذا كان هذا الزمن يؤسّس تداخلا لمحاوره في ظلّ ضياع الحقيقة، ليكون زمنا كيميائيا يفاعل الأخلاط، فإن التاريخ يعيد نفسه ولكن بأساليب مختلفة.

تقول الزهرة رميج: **(ما يحدث الآن على الصعيد العربي، يذكرني بخطة معاوية بن أبي سفيان يوم أحس باقتراب أجله، فبدأ أخذ البيعة لابنه معاوية في حياته، ليضمن استمرار الحكم في بيت آل سفيان، ولم يجد من يعارضه غير أهل الحجاز بقيادة الحسن بن علي الذي خرج في ثلاثين فارسا ليواجه**

**جيشا من ثلاثين ألف جندي! قال حميد.**

**– لقد وجد في ذلك الزمان، من يعارض معاوية حتى لو كانت فئة قليلة... عقب سعد. أما مصيبة هذا الزمان، فهي غياب المواقف الشجاعة.**

**فالمعارضة إما أنها ضعيفة للغاية، أو مفبركة من طرف السلطة نفسها.**

**الوطن العربي يعيش مأساة لا سبيل للخروج منها!**

**– أية سوداوية هذه، يا أخي؟ قال الدكتور خليل: التاريخ لا يعيد نفسه! بل يعيده، ولكن بأساليب مختلفة! رد سعد. ألا ترى الشعوب العربية ألفت الذل والمهانة، واستكانت إلى حياة القطيع، بعدما يئست من التغيير؟)**[16]

مما لا شك فيه أن ثمة فترات زمنية مختلفة، غير أنها لا تشكل سوى فواصل زمنية متواترة لصراعات مأساوية تنتهي بخاتمة واحدة هي نكسة الشعوب العربية، لذا فالتاريخ يعيد نفسه راسما امتداده اللامتناهي ملتهما كل إحداثيات الزمن، رغم ما تحمله من أحداث متناقضة.

وتقول الساردة أيضا: (**التاريخ يجعل الناس خامدين ويعطيهم إحساسا بالدونية مقارنة مع شخصيات الماضي العظيمة يجعلهم مقلدين فقط.)** [17]

إذن كيف يمكن للذات أن تواجه ثقل الخمود وفتنة الإحساس بالدونية وهي تتطلع إلى مماثلة نماذج عظمى صنعتها يد التاريخ!؟

يبدو أن الربط بين الأبعاد الزمنية يمحو معالم المحدودية، ولا يعترف إلا بالامتداد والاستمرارية فيغلق سجل التاريخ مغيبا قانون الفترة، لذا تقول الزهرة رميج:**(ستعود بنا إلى الماضي المؤلم في الوقت الذي نسعى فيه إلى طي صفحة الماضي وفتح المستقبل.**

**– اطمئني! فالحاضر دائما له قدم مغروسة في الماضي وأخرى ممدودة نحو المستقبل.)**[18]

كما تقول أيضا: **(معرفة الماضي تجعلنا نخطط بعقلانية لمستقبل يكون إبداعا جديدا وليس تكرارا للماضي)**[19]

لا تتصل الأبعاد الزمنية عند الساردة فحسب، بل تتداخل وتلتحم بوساطة الحاضر، الذي ينهض من الماضي ليمتد نحو المستقبل، لذا لا بد للذات من فهم ماضيها لتأثيث فواصل مستقبلها، وتلك فلسفة أشار إليها نيتشه في قوله: «الحاضر استمرار للماضي وللمستقبل معا في أسفله يحيا الماضي، ومن فوقه يحلق المستقبل، بل الآناء الثلاثة تكوّن نسيجا حيا لا يقبل التفرقة ولا يخضع لعوامل التمزيق...الماضي تهيئة للحاضر، والحاضر إعداد للمستقبل» [20]

وهذا التواصل الزمني لا بد أنه يرسم لنا حركة دائرية، كون المستقبل سيصبح ماضيا في فترة ما، وهذه الحركة تشكل مسار الحياة الإنسانية.

والظاهر أن فهم الآناء الثلاثة وجعلها نسيجا حيا لا يحصن الذات من صراعاتها المختلفة، لاسيما وهي تعيش التجدد المستمر والتنوع الدائم.

### 4- الذات بين فعلين:

لقد انعكست متناقضات تلك الحياة العضوية على أرضية الحياة الفكرية للإنسان، مما جعل الذات تشعر بالارتياب، لتعيش صراعا بين فعلين: أحدهما إيجابي، والآخر سلبي، هل تتشبث بقناعة المقاومة والتحدي، أم تنكر قناعتها تلك خاضعة لفعل الاستسلام؟

#### 1.4 - تكريس فعل الاستسلام والخضوع:

يتولد فعل الاستسلام أحيانا من الذات نفسها التي لا تستطيع التغلب على نقائضها، فتخضع لفتنة الانهيار، ومن ثمة تكتب مأساتها الأزلية التي كرستها بنفسها، وأحيانا من سلطة الآخر المضاد لوجودها والعامل على إخضاعها لقبضته من أجل فرض هيمنته الأبدية.

تقول الساردة: (**أما أنا وراضية، فقد حكم علينا بالسراح المؤقت؟! مؤقت إلى متى؟ هل كلمة " مؤقت" هذه محدودة في الزمان أم مطلقة؟ تساؤلات باتت تشغلني وتؤرقني!**

**إنه حكم ضبابي. مربك. يتركك في شك دائم يجعلك تعيش على أعصابك باستمرار! لم أعرف إن كان هذا الحكم في صالحي أم لا؟ لم أعد أشعر إن كنت فعلا حرة طليقة أم أني أعيش داخل سجن أكبر بكثير من سجن رفاقي؟ تصور أني في لحظة ما، تمنيت لو حكم علي بالسجن النافذ سنة أو سنتين أو ثلاث لا يهم! على الأقل، أعرف آنذاك، وضعيتي بالتحديد! أما الآن، فإني معلقة، أعيش تلك الحالة المقيتة، حالة لا حرب ولا سلم!**) [21]

يجعل الآخر الذات تعيش حالة الارتباك والانتظار، مما يحقق نوعا من الغياب الناتج عن العزلة المستمرة، وحينذاك تعترف الذات بانهيارها أمام هاجسها المؤرق، وهو مواجهة المجهول.

والظاهر أن ذلك الآخر لم يكن وحده المسؤول عن أزمة الانهيار والشعور بالعجز لدى الذات، بل قد تصبح عدوة نفسها نتيجة تهورها الجامح.

**تقول الساردة:(الغريب أن مأساة الإنسان القديم كانت نابعة من علاقته بالآلهة والقوى الخارجية... أما مأساة الإنسان المعاصر، فهي نابعة من علاقته بآلهة مادية صنعها بنفسه! لقد أصبح عبدا مطيعا لكل ما ينتجه! بل الأكثر من ذلك، أنه يمجد الجماد على حساب الحياة! ألا ترين أن العلماء في مجال صنع الأسلحة، فكروا في القنابل التي تقتل الإنسان ولكنها تحافظ على العمران، أي على ما شيده الإنسان نفسه وصنعه بيده؟!)**[22] وتضيف الساردة قائلة: (**فيا لهذه اللأجساد! كيف لا تسير دائما في توافق مع الفكر والإرادة؟**)[23]

ISSN: 1112-4938, EISSN: 2600-6456

لقد اجتهدت الإنسانية في رسم مأساتها منذ القديم، فمن خضوعها لقوى خارجية نحو خضوعها إلى قوة العقل الداخلية التي أودت بها إلى العبودية، وإن تمكنت من ترويض الفكر بالإرادة، فإن ثمة قوة أخرى تواجهها هي قوة الجسد وهوى اللذة، والنتيجة أن جهل الإنسانية جعلها تكرس عبوديتها بنفسها.

وهذا الجهل قد يكون كذلك سببا في وهمها **(رق قلبي لجهلها الذي يجعلها في صراع دائم مع أعداء وهميين)**[24]، بل قد يجعلها تختار أعداء يمكنها هزيمتهم، لاسيما أنها أعجز مما تكون ندا لمن يفوقها قوة **(فليهنأ النظام بهذا التفسير الذي يحول الناس البسطاء أعداء لبعضهم البعض!)**[25]

وإذا ما أصبح الناس أعداء فإن ذلك يعلم بعضهم الظلم، ويعلم الآخرين الاستسلام والمهانة تقول الساردة: **(الذي يستسلم للظلم وللمهانة مرة واحدة، سيظل العمر كله مستسلما خاضعا! وأن الذي يفرط في حق من حقوقه سيجد نفسه في نهاية المطاف، محروما من جميع الحقوق)** [26]، بمعنى أن ترويض الذات على الخضوع يجعل قوة الاستسلام تستولي عليها لتقودها نحو الحرمان.

وحالة اللااستقرار هذه تعيشها الذات التي تتلقفها دوامة من الصراعات، صراع مع المادة واللذة من جهة، وصراع مع الآخر من جهة أخرى، مما يفقدها وعيها، إن لم تستطيع المجابهة والصمود، وهو ما يلقي بها في قبو صراع مختلف عن الصراعات السابقة كلها، إنه صراع الذات والوهم؛ مواجهة لا تدرك الذات فيها طبيعة العدو.

وفيما يلي مخطط يوضح مجمل الصراعات التي تعيشها الذات:

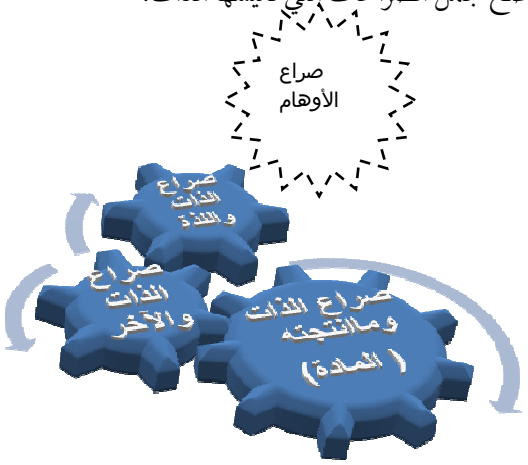


ويبدو أن ثمة من يمتلك القدرة على مواجهة تلك الصراعات، حتى إنه يزداد بأسا وصلابة بعدما روض ذاته، ولقنها أبجديات المقاومة والتحدي.

ISSN: 1112-4938, EISSN: 2600-6456

**2.4-تكريس فعل المقاومة والتحدي (إرادة القوة):**

تتمثل المقاومة في جل الأعمال الاحتجاجية، التي تمارسها الذات لتجاوز أزماتها وتخطي عوائق خنوعها، من خلال شحن طاقاتها الإيجابية في تعزيز الحياة. وتعزيز الحياة تؤديه الذات القوية والواعية لنقائض أدائها السلوكي، حيث تعمل على وصل هذه النقائض.

**1.2.4- من خلال معرفة الذات وإدراك نقائضها:**

يمكن للذات التي شكلت حلقة تتواصل فيها متناقضات الحياة العضوية أن تجد لنقائضها الباطنية نقطة التقاء. ولعل قانون الربط بين المتناقضات التي تحيا بها بواطن الذات يبدأ من الجمع بين الضعف والقوة.

**1.1.2.4- الضعف والقوة:**

ترسم بواطن الذات تخطيطا طرديا لاضطرابات عدة ناتجة عن صراعات مختلفة تظهر جلية في أفعال الذات ومواقفها، لذا ترى الزهرة رميج أن الذات متأرجحة على قطبين **«لست أدري! أحيانا، أجد نفسي قوية لدرجة لا أتصورها. وأحيانا أخرى، أجد نفسي ضعيفة لدرجة لا أتصورها أيضا! .. أشعر أني في أرجوحة دائمة... أعلو و أنخفض... حياتي سلسلة من الجبال والسهول المتعاقبة... »**(27) وهذا ما يطابق مقولة نيتشه «إحراق واحتراق تلك كانت حياتي»(28)، ومثلما أراد نيتشه للإنسان أن يتخطى ضعفه بإرادة القوة، فكذلك ترى السارة أن المرأة المتصفة بالضعف والهشاشة، يمكنها أن تجعل من ذاتها أشد صلابة في المواقف التي تتطلب ذلك، فتقول: (**اطمئن! رغم هذا القلب الذي يخفق للحب كما الطير للهواء...كما العشب للندى... كما الورد لشعاع الشمس... كما الأم ساعة الخلق العظيم... رغم هشاشتي وضعفي أمام الحب... رغم رومانسيتي الخائبة.... رغم تهويماتي التي تعرضني للخطر مثلما حدث وأنا أمام سجن لعلو... إلا أني ساعة الجد... ساعة الحسم... ساعة الفصل، ستجدني بالتأكيد صلبة كالصخر... بل ستجدني ربما، أشد صلابة من عتاة الواقعية!**

**اطمئن! أنا أدري بنفسي! أدري بهذه النفس التي تحمل دوما، نقيضها بداخلها وتتعايش معه* كما يتعايش التوأم مع توءمه في بطن واحدة** )(29)

هكذا تصنع الذات من ذاتها درعا ثابتا في مواجهة المعوقات جلها، فتتخطى الصعاب وتتحدى الأزمات، إنها ذات أدركت دواخلها، فتمكنت من التعايش مع نقائضها .

**2.1.2.4-احتواء الوعي باللاوعي:**

إن اللاشعور في جوهره ليس إلا لغة بديلة، ومدخلا مختلفا تلج من خلاله الذات مواطن وجودها، إنه الترسانة المتينة التي تستند إليها الذات لتجديد صورتها انفلاتا من قبضة الزمن والراهن

والموجود، لذا فهو مرتبط بالطبيعة البشرية؛ لأنه أساس استمراريتها، فهو الجسر التواصلي الذي تتجاوز الذات به أزمات الإحباط اليومي، وتسمو في معراجه نحو الترفع عن الإمكانات المفقودة.

وعلى الرغم أن الزهرة رميج تصف تلك الحالة النفسية التي تمر بها الذات وهي تصارع كوابيسها، غير أنها تجد في تلك اللغة بديلا مختلفا عن الواقع، تقول الساردة:(**الكوابيس تصيبني بحالة نفسية سيئة! الغريب أني كنت أفسرها في الحلم! كنت في الحلم أعرف أني أحلم، فأسعى لمعرفة مغزى تلك الأحلام! ينتابني عندئذ، حزن فظيع... يؤلمني تفسيري أكثر مما تؤلمني الكوابيس نفسها! والأكثر غرابة، أني أتذكر الكوابيس ولكني لا أتذكر مطلقا، تفسيرها! لا أتذكر التفسير ولكني أتذكر الألم الذي يولده! ما معنى ذلك؟ هل هو هروب من حقيقة ما؟ هل هو احتماء الوعي باللاوعي؟**)[30]

تتحول الكوابيس المحزنة والفظيعة (المنامات الخيالية المضخمة) إلى أحلام رمزية تفسرها الذات لذاتها، غير أنها لا تتذكر أثناء اليقظة غير اللألم المتولد عنها وتنسى تأويلها، ذلك أن «ذاكرة الحلم أشمل من الذاكرة في حالة اليقظة، فالأحلام تعيد ذكريات نسيها الحالم وليس في متناوله عند اليقظة.» [31]

ولا تدري الذات إن كانت لعبة النسيان تلك هي لحظة للفرار من الحقيقة، أو هي لحظة يحتمي فيها الوعي بلاوعيه، إنها ولا شك رحلة وجودية تنطلق من اللاشعور وتعود إليه، لتجعل الذات تعيش مرحلة الهدم السابقة لحالة البناء رغبة في تهيئة النفس وإعدادها للمواجهة.

### 3.1.2.4-النفس مزيج من التشابه والتناقض:

إن انتقال الذات باتجاه التفكير الوضعي أدى بها إلى نفي الكليات وهجر المطلق، ومن ثمة الإيمان بما هو نسبي، لذلك أدركت أنها مزيج غير متجانس تقول الساردة (**لا تنسي عزيزتي، أن قضية التشابه الكلي أو التناقض الكلي غير موجودة في الطبيعة البشرية وربما أيضا، في الطبيعة الحيوانية! كل شخص يشكل حلقة متفردة داخل السلسلة البشرية! قد نبدو متشابهين أو متناقضين، ولكننا مزيج غريب من التشابه والتناقض في الآن ذاته... تشابه وتناقض بدرجات متفاوتة... بنسب معينة تجعل خلطة كل منا خلطة متفردة تتميز عن غيرها من ملايير الخلطات البشرية المتعاقبة... إننا مثل أعداد الأرقام...**).[32]

إن السلسلة البشرية مزج غريب من التشابه والتناقض، وكل ذات هي حلقة متفردة فيها، تشكل بذاتها مزيجا من التشابه والتناقض أيضا، فالإنسان لا يعرف بصفاته العضوية، وإنما يتميز بحياته الفكرية التي تجعله يثبت ذاته داخل خليط البشرية غير المتجانس.

والغرابة التي يتفرد بها الإنسان عن النمط الحيواني، هي أنه يتميز بأغوار جامعة بين المتناقضات، ينقلب حالها من الضد إلى ضده.

تقول الساردة: **(لقد ظلت سامية بالنسبة لها لغزا محيرا!.. تبدو أحيانا، واضحة وضوح الشمس... وأحيانا، صندوقا محكم الإغلاق!.. أحيانا، قطعة من جليد...وأحيانا، شعلة من لهب!.. ومع ذلك، فإن حياتها الزوجية ظلت تسير في نفس الطريق، وبنفس الوتعيرة!.. اكتشفت أن لديها قدرة عجيبة على التحمل والتجدد والصراع والمقاومة.**[33])

تستند الساردة إلى مقولة نيتشه «أنا كلهيب النهم، احترق وآكل نفسي. نور: كل ما أمسكه، ورماد: كل ما أتركه. أجل! إني لهيب حقا»، لتقول: إنه لا بد أن ندرك أن الإنسان لغز محير وكائن مبهم؛ لأنه مزيج من المتناقضات، غير أنه يمتلك القدرة على التحمل والتجدد، من خلال تبني فعل المجابهة والمقاومة، لذا فقد كررت الساردة فعل الاحتراق كثيرا في روايتها.*

غير أن الضعيف العاجز على المواجهة والاستمرارية يدخر نفسه وقودا لإلهاب فتيل التناقض الداخلي في ذاته، و الواقع أن «مكر الحياة نفسها [يجعلها] تستعمل الضعفاء للحفاظ على ذاتها (الحياة)...هنالك مصلحة ما للحياة نفسها في أن مثل هذا النمط من التناقض مع النفس لا ينقرض»[34]، لذا يعد العاجز عن صراع الحياة مؤيدا لها، يعوض عدم اقتداره بإرادة العدم بدل إرادة القوة والوجود، بينما يفرض المكافح سلطته بتحرير ذاته من المثل العليا، وتطويع نفسه من خلال فعل التصدي والاقتدار على التعايش.

ولعل «أهم حادث في حياة الإنسان هو اللحظة التي يبدأ فيها بإدراك ذاته وجوهره، ونتائج هذا الحادث قد تكون جليلة خصبة وقد تكون ضارة.» [35]، لذا ترى الساردة أن تأمل الذات لذاتها يجعلها تكتشف هويتها فتقول: **(عادت تنظر إلى عينيها مجددا، منبهرة ببريق لون عسل الزعتر الداكن! ابتسمت للتشبيه...ابتسمت لابتسامتها...ابتسمت لانقلاب حالها من النقيض إلى النقيض! ما أغرب الإنسان! ما أغرب العلاقة بين النفس والجسد! كيف يمكن لرؤية مشهد أن يهد الجسد في لحظة؟ .. وكيف لسماع خبر بسيط، أن يحييه بعد الممات؟ فوجئت بمشاهد " أنشودة الأرض" لمايكل جاكسون تمر أمام ناظريها... صور الغابات المحروقة...الأشجار المقطوعة...الآلام البشرية... الحروب... المجاعات... دموع الأطفال... موت الحيوان...تلويث البحار...ثم الصور المضادة لها...صور الانبعاث...عودة الأشياء إلى جوهرها...والبحار إلى صفائها... والكون إلى تناغمه الأزلي...)**[36]

إن لاختلال الموازين وتلاشي الحدود تأثيره على الذات، التي اختزنت هذا المزج الشعوري، ليتدفّق في سيل من الدوال التعبيرية المتآلفة والمتناقضة، ذابت في جسد النص لتشاكل قرار هذه الدواخل الغامضة، فأينعت صور اشتباك الدال بنقيضه ليصنع الحلول امتزاجا، تتبادل فيه المتضادات خصائص بعضها بعضا، «ويخلق التضاد حركة بين النقيضين تثري الصورة وتجعل بين

طرفيها تأثيرا وتأثرا، ويعكس تشكيل الصورة الشعرية بهذه الطريقة ثنائية الواقع، حيث يجمع [الأديب] بين ثنائيات متقابلة ولكنها تخدم دلالة واحدة»[37]،هكذا تنسج الحركة في الصورة وصلا بين الكلمات، لتفرض قانون استبدال ينسف أفق التوقع.

ويبدو أن اشتباك النقائض، من خلال اتصال الوعي بلاوعيه يصل بالذات إلى مقاومة حالاتها المتوترة، فتدرك ذاتها بذاتها وتتمكن من الوصل بين أفعالها.

**2.2.4-من خلال فعل الذات الواصلة بين المتناقضات:**

تظهر إرادة القوة في وصل المعنوي بنسف السائد والمكرس سابقا، لإنشاء المختلف وإرساء قواعد بديلة، «إن الأشياء الخيرة، والقيّمة، والمحترمة متصلة، ومربوطة، ومنسوخة على نحو خفي بالأشياء التي تبدو مضادة لها، بل الأشياء الخيرة هي ذاتها الأشياء المضادة، فالطيبة مثلا ليست إلا العجز الذي لا يلجأ إلى الاقتصاص، الصبر ليس إلا جبنا ومسالمة من الكائن الضعيف، الصفح عن الإساءة ليس إلا عجزا عن الانتقام، الحقيقة ليست إلا خطأ حيويا، المعرفة ليست إلا نزوعا إلى السيطرة...إذا نظرنا إلى شيء ما، أو ظاهرة ما، فإنه يجب علينا البحث عن القوى التي تستولي عليها، والإرادة التي تتملكها والتي تعبر عن نفسها فيها، وتختفي فيها في الوقت نفسه»[38]، وبالتالي تكون الذات نظيرا للظاهرة لا يتجلى منها إلا ما يطفو على ملمحها الشخصي من جانبها الخفي، فيجب البحث عن القوى التي تستولي عليها وتبديلها، من أجل التحرر (مصالحة الذات مع تكوينها)، وبالتحرر يحدث التسامي (الإنسان الأعلى).

يمكننا القول مع الزهرة رميج: **(إن الشيء يحوي نقيضه)[39]**،والقيم السائدة ليست إلا قيما سالبة للقوة، لذا علينا أن ندرك إرادة القوة التي تستولي عليها لنربطها بنقائضها.

وإرادة القوة تمنح الذات القدرة على تحويل فعل احتقار نفسها إلى استجابة ثانوية يكون فيها رد الفعل فعل تطوير وارتقاء.

**1.2.2.4-فعل الاحتقار/ فعل الاحترام (التطوير):**

إن للذات القدرة على هجرة مواطن الذل والمهانة، إذا تمكنت من استيعاب وضعها واحتقرت ما هي عليه، فتغلبت على نفسها وأعادت تقويم فعلها.

تقول الساردة: **(كم أنا مدينة لك بالتخفيف عني! كم هو جميل عزاؤك! جميل أن تنظر بإيجابية إلى تلك اللحظة التي أحسست فيها بالاحتقار تجاه نفسي! "احتقار النفس نعمة" "احتقار النفس فضيلة" كم هي مثلجة للصدر قولة نيتشه التي استشهدت بها "الويل، الويل! سيأتي زمن الإنسان الأكثر حقارة، الذي يدفع بالإنسان إلى تطوير ذاته والارتقاء بها! فالرضا والاطمئنان يؤديان حتما، إلى الموت! )[40]**

تطرز لنا الصورة معاني الصراع الداخلي، الذي يزاحم ذاتا وجدت في كلمات صديقها عزاء لها،

فتحول الاحتقار إلى فعل تطوير وفضيلة تختص به النفوس الراقية التي لا تؤمن بثابت الطمأنينة، «من يحتقر نفسه ما زال يحترم نفسه بوصفه محتقرا.» [41]، هذا يؤكد أن الذات التي أقنعت نفسها بعبادة صنم الطمأنينة الموضوع أمامها دوما، قد فقدت قيمة الاحتقار.

ولقد بدا أن الاحتقار يكشف عن نظيره، حيث يبعث على الاحترام؛ لأن مراجعة الأخطاء تجنب الذات ارتكابها من جديد، وتدفع إلى الارتقاء والتطوير.

تقول الساردة: **(الذي يقف في منتصف الطريق، يجد نفسه في المؤخرة! ... نيتشه هو الذي ينعت الإنسان الذي لا يسير، ولا يطور نفسه، بالإنسان الأخير!)**

هذا يعني أن هدف نيتشه يكمن في انتشال الذات من هوة الشعور بالدونية وإعادة الثقة إليها، حتى بلوغها فعل الارتقاء الذي لا يتحقق إلا بإرادة القوة الظاهرة بوساطة الكفاح «إن الذات تبحث دائما عن كل ما يقاومها، ولما كانت المقاومة صدا ووقوفا في وجه الشيء المقاوم، أي معاكسة بمعنى الحياة والألم لا ينفصلان.»[42]،أي لا وجود لشيء إلا بوجود نقيضه ومن نزاع المتناقضات ينشأ التجدد والاستمرار.

ومن المستحيل أن يتحقق التجدد والذات عاجزة عن قراءة مسارها غير مهتمة بإحداث التغيير، لذا تقول الزهرة رميج: **(هل مثل هؤلاء من يعول عليهم في الارتقاء بالإنسان إلى أعلى مرتبة؟ هل هؤلاء هم الذين سيلدون الإنسان الأعلى حسب تعبير نيتشه الإنسان القادر على تغيير العالم تغييرا جذريا.)**[43]

لا ريب أن البنية الاستفهامية تعزز خطاب الارتياب والشك، ولكنها في الآن ذاته تسعى إلى البحث عن مخرج لإنشاء واقع بديل.

والراجح أن فعلي التغير والتجدد لا يتحققان إلا بتعزيز القدرة على المواجهة الفعلية للواقع، بدلا من بناء مدينة طوباوية لا وجود فيها للمشاركة والانتماء، وذلك هو فعل الحمق المؤمن بالمثالية.

### 2.2.2.4- فعل العفة فعل الحمق:

إن الذات القادرة هي ذات فاعلة تسعى للإثبات والتحقق، وبالتالي فهي لا تكتفي بالحلم الطوباوي، بل تبحث عما يطور أشكال وعيها، إنها تتمرد متجاوزة المألوف لترقى نحو المختلف.

تقول الساردة: **(ولكني أقول لك وعلى لسان نيتشه نفسه –بل وعلى لسان زرادشت –الذي أجد روحه طاغية في رسالتيك الأخيرتين:**

**"أليست العفة حمقا؟ ... إننا نمنح هذا الضيف قلبا ومأوى...فليبق ما طاب له إذا! " فلنتشبث بحمقنا وليتسع صدرنا لضيفنا ما شاءت لنا الأقدار! )**[44]

لا شك أن الجمع بين العفة والحمق هو جمع بين السمو والدناءة، غير أن هذين المعنيين المختلفين يلتقيان في تحديد طبيعة الذات، التي لا تقتنص الفرص المتاحة لها فتتنازل عن حقها.

ونيتشه يريد «أن يكون الناس أقوياء أشداء، ولا يستغرقون في تأمل مجرد وزهد إلى حد أنهم يفقدون فاعليتهم ويدب فيهم الفساد» (45)، ومن هنا يكون التعلق بالمجردات والتسامي على الواقع ليس إلا فقدانا لفاعلية المشاركة، وإشارة إلى العجز على المقاومة والتحدي. « إن العفة فضيلة لدى البعض، لكنها لدى العديد شيء قريب من الرذيلة.» (46)، ذلك أنها اتصال بالمعنوي المجرد وانفصال عن الفاعلية والتحقق.

ولعل الحديث عن التعلق بالمجرد يتصل كثيرا بأصحاب المثالية، لذلك تطرح الساردة فكرة اتصال الرومانسي والواقعي، برغم الفرق بين الاتجاهين وهذا في قولها:(**أختلف معك في نظرتك للرومانسية كنقيض للروح الثورية. أو ليست الرومانسية في حد ذاتها، رفضا للواقع وحلما بعالم أجمل وأرحب؟ وهل للثورة أن تتحقق دون حلم بتغيير الواقع؟ المشكلة ليست في الرومانسية، وإنما فيمن اشتهروا بها ... في الذين حلموا لكنهم لم يعملوا على تطبيق أحلامهم وبلورتها على أرض الواقع!... رومانسيتي واقعية وليست زائدة، لأني أرفض أن أعيش في الأوهام!.. لأني أسعى إلى أن تتجسد أحلامي على الأرض! ولأني أمجد البطولة، فإني متأكدة من أني أفضل الموت أثناء التعذيب، على العيش وأنا أحتقر نفسي. أصعب شيء في الحياة، هو احتقار النفس!**)(47)، بمعنى أن ذل الذات يجعلها تحتقر نفسها؛ لأن البقاء لم يعد يعنيها إن ألتهم وجودها، إنها الفوضى الناسفة للهدوء، ومن ذلك تكون حالمة ثم فاعلة، والفعلين متصلين في الرومانسية والواقعية، إذ تبدأ الثانية عند انتهاء الأولى.

ومن الطبيعي أن هناك بونا شاسعا بين الواقعي والرومانسي، غير أن الساردة تمزج بين المتناقضين على اعتبار أن الثورة هي القاسم المشترك بينهما، فرفض الواقع لا يقتصر على الرومانسي الذي يعيش طوباوية جمالية حالمة، بل يتصل أيضا بالواقعي الثوري الحالم بتغيير الواقع قبل أن يتحقق هدف الثورة.

إذن الفرق الوحيد بين الاثنين هو التطبيق، فبينما لا يطبق الرومانسيون أحلامهم يقوم الواقعيون ببلورتها على أرض الواقع.

ويؤكد غنيمي هلال هذا الطرح في قوله: «الواقعيون مثل غير الواقعين في تجاوز الواقع، إذ إن الواقعين يصورون الشر في الواقع رغبة في تغييره أو الثورة عليه، وهم يشبهون –من جانب – الرومانتيكيين الذين يهربون من الواقع »(48).

والظاهر أن الواقعي يسعى إلى التضحية من أجل تحقيق أحلامه «لا بد للإنسان أن يريد الزوال، كي يستطيع النشأة من جديد »(49)، فالشعور بالفناء هو ما يمنح الذات إصرارا على الصراع من

أجل البقاء، ومن ثمة لا يشكل صمتها إلا فترة الهدوء التي تسبق الثورة.

**3.2.2.4-فعل الصمت/ فعل الانتفاضة:**

ليس ثمة تناقض بين الصمت والكلام؛ لأن الصوت لا يشكل إلا امتدادا لمكبوت معين، حيث إن الحركة لابد أن تنبثق من السكون، وبالتالي يكون «وعي الصمت ضرورة عظمى؛ لأن في هذا الوعي تتشكل للكلام نفسه صورة أو هوية أخرى»[50]، هذا يعني أن الصمت لغة تختلف عن الملفوظ في كونها فعلا مؤثرا متدثرا بركام الحكمة والتعقل والتروي. إنه الهدوء الذي يسبق الفاعلية بل يتجاوزها، ولذا تقول الساردة: **لا يغرنك صمت الناس واللامبالاة التي يظهرون بها؟ إن تلك القوة الصامتة ستنفجر يوما، كالطوفان! إن الناس خائفون نعم، لكن الحقيقة ليست غائبة عنهم!**[51]، هذا يعني أن الحقيقة تفرض نفسها ولا يمكن اغتيالها بأي شكل من الأشكال، إنها تتموضع في قلب لغة الصمت.

ولغة الصمت حاضرة لأنها أكثر مصداقية من الثرثرة، تدخر طاقتها لتتحرر بشحنة مضاعفة أبلغ من لغة البوح والاعتراف، ومن ثم يكون الطوفان ويحدث التغيير؛ لأن الحقيقة تعتلي صهوة الوضوح ولا يمكن وأدها بأية وسيلة.

وإن كان الخوف عائقا في وجه الصمت، فإنه يجب التغلب عليه لتحرير المكبوت، وما من شك أن الصمت ينتهز فرص السيطرة التي تتيحها الحياة ليقوم بنشر الحقيقة، لذا يقول نيتشه: «الطابع الرئيسي في خلق الإنسان هو القوة وغريزة السيطرة، ومهما حاول أن يكبتها في نفسه فلا بد أن يظهرا حين تتاح لهما الفرصة للظهور. »[52]، وهذا هو سر الذات التي إن أدركت ذاتها اكتشفت القوة والسلطة أولا، حتى إنها لا ترغب عن إرادتها هذه بديلا.

**4.2.2.4- فعل الخير/ فعل الشر:**

إن التفاعل الاجتماعي يعمل على كشف الأنماط البشرية وأسرار سلوكاتها، وينبه إلى ضرورة اجتماع الخير والشر في مواضع عدة، وهذا الالتقاء بين القطبين الموجب والسالب هو أساس الاستمرارية، وأصل الصراع الذي تعيشه الذات.

من هنا تقول الزهرة رميج: **(أرأيت؟ إن الخير دائما موجود، يظهر حتى في الأماكن التي يهيمن الشر-عليها!... لا تيأس حبيبي! تذكر أن الخير دائما، موجود، وأنه قد يظهر في الوقت الذي تكون قد يئست من وجوده.)**[53].

تشي هذه البنية التخاطبية بمشهد جمالي يفاعل بين الأقطاب، حيث يولد الموجب من السالب، فيثبت ذلك الميلاد أن الشيء يوجد مكان وجود نقيضه، وكأنها الساردة أرادت من خلال سمة

الانبثاق أن تؤسس إثباتا للوجود، فتعيد الثقة للذات بعد يأسها.

ويأمل نيتشه أن تعد الحياة يوما أكثر شرا وأكثر إملاء بالمعاناة، مما كانت عليه في أي يوم[54]؛ لأن الكفاح يصنع المقاومة والمقاومة تنتج إرادة القوة، التي تبدأ بفعل الكراهية لما هو سائد، مما يدفع إلى التجاوز الواصل بين الذات وطموحها في تعزيز الحياة، ومن تلك المصالحة ينشأ فعل الحب.

### 5.2.2.4-فعل الحب/ فعل الكراهية:

إن الحب والكراهية حالتان وجدانيتان ذات علاقة توافقية تنشأ وتنمو بالتساوي في النفس، ويحدد نمط التفاعل مع الواقع نوع هذه الطاقة الخامدة فيفجرها.

ولأن الذات تتميز بالتناقض الوجداني، فإن عدم انسجامها مع معطيات الواقع يجعل فكرها نقديا مهدما للسائد، فالكراهية فلسفة هدم من أجل البناء، تسهم في توافق الذات وتواصلها مع محيطها، وتحويل فكرها إلى فكر منطقي تأملي.

تقول الساردة: **(أية لوثة جنون هذه التي حلت بك؟ كيف تتصالحين مع الحب؟ كيف تنهار مقاومتك الطويلة بهذه السرعة؟ .... هل نسيت قولة بايرن المأثورة: " حب الرجل منفصل عن حياته، ولكنه للمرأة الحياة بعينها"؟ هل تردين أن تغرقي مرة أخرى، في حب رجل لا يهتم إلا بمستقبله العملي؟ ...كيف يولد (الحب)، وأنت ترين فيه صورة زوجك الغادر؟ ألم تشعري بالكراهية نحوه؟ فكيف يولد الحب من رحم الكراهية؟)**[55]

إن الحياة الانفعالية هي حالة صراع أبدي تعيشه الذات، التي تسعى دوما للمقاومة المتأججة من جذوة الكراهية، تلك الشحنة الوجدانية المثبطة، التي لا تترك مجالا للحب والتلاؤم خاصة إن لم تتغير المعطيات السائدة.

يقول نيتشه: «هناك دوما شيء ما من الجنون في الحب، لكن هناك دوما شيء من العقل في الجنون»[56]، إذن هناك ارتباط بين العقلي واللاعقلي، حيث يتصل التأمل بالنقد؛ لأن الوعي المتعلق بالإدراك يقود إلى تبني رأي القبول أو الرفض، ومن هنا لا وجود للفصل الكلي بين الذكاء والبلادة.

### 6.2.2.4-الذكاء/ والبلادة:

إن ارتقاء النشاط الفكري والمعرفي يقود الوعي نحو الفطنة والتدبر، في حين يمثل جمود الفهم بلادة، غير أن هذا النشاط المعرفي لا يمكن أن يتصل بالبلادة المطلقة ولا بالفطنة المطلقة كذلك؛ لأنه مهما بلغ من الحدة يظل قاصرا على بلوغ المعرفة المطلقة.

تقول الساردة: **(الذكاء نسبي... الذكاء والبلادة لا يتناقضان بالضرورة...إنهما يلتقيان التقاء السمن والعسل... لا يوجد ذكاء خالص، وبلادة خالصة.**

**لكل شخص منا نصيبه من الذكاء ومن البلادة أيضا.**

ISSN: 1112-4938, EISSN: 2600-6456

**-بل الذكي ذكي، والبليد بليد!**

**-هذا ما يتخيله الناس! لكن لو عاد كل واحد إلى نفسه فقط، وتأملها جيدا، وتأمل مواقفه في الحياة عبر مسيرته الطويلة، لخلص إلى نفس الخلاصة التي خلصت إليها!**

**- وما هذه الخلاصة؟**

**- أن الإنسان كما أسلفت القول، مزيج من الذكاء والبلادة. لقد اكتشفت هذا في نفسي أولا. أحيانا أجدني أتخذ مواقف رائعة وتحضرني أفكار نيرة يشيد بها كل من زميلاتي وأصدقائي سواء في العمل أو في الجمعية... وأحيانا أخرى، أقع في أخطاء لا يقع فيها حتى الطفل الصغير! ويستعصي علي فهم أمور تبدو للآخرين غاية في البساطة!)**[57]،هاته المعاني المتداخلة تنبئ بهفوات ذات تقهرها قوى البلادة أحيانا، فتدرك صراعها الأزلي لإعلان إنكارها للوجود الواقعي بحثا عن وجود مختلف.

تستند الساردة إلى مقولة نيتشه: « يبدأ المرء بالتشكك في أشخاص فائقئ الذكاء عندما يرتبكون»[58] ، وترى أن أحوال الإنسان المختلفة تجعل كل ما يحور ببواطنه مقابلا بالضد، فإذا ما تأمل ذاته أدرك أنه مزيج من الذكاء والبلادة يجمع بين الإخفاق والتفوق، أحيانا يتكيف مع المواقف والظروف، وأخرى تخونه فيها القدرة على التفكير برشد وحكمة، فيخفق في التأقلم مع الوضع.

## الخاتمة:

**خلص البحث إلى جملة من النتائج هي:**

- تلتقي الساردة مع فلسفة نيتشه في مبدأ الرفض والتمرد والثورة على الفكر السائد الذي، كرس قانون العبودية وألهب فتيل الطبقية.
- مثلما تخطت فلسفة نيتشه المطلق والثابت المنطقي، بينت الزهرة رميج أن النسبي يجعل الذات تشك في كل شيء، متجاوزة ما هو موجود لبناء واقع مختلف يلائم إرادتها.
- تتخذ الساردة من موقف نيتشه المبنى على آليتي النقد والسخرية موقفا مناهضا لمن عمل على انتهاك الفكر، وأرسى حقبة جديدة للجهل وعبادة صنم القيم الزائفة.
- تظهر فلسفة إرادة القوة التي تستند إليها الساردة أن الحياة نضال أبدي وألم متواصل تقوم على القوة والمغامرة وإرادة الفناء لا على التساهل والاستسلام وإرادة المحافظة على البقاء.
- تسعى الساردة إلى تحويل الحقائق المجردة إلى بيانات مجسدة (من المعرفة يتحقق الفعل)، لذا فهي أكثر إيمانا بالمشاركة والفاعلية مترفعة على جل المبادئ المثالية، وهو ما تثبته فلسفة إرادة القوة.
- فلسفة الحياة نفسها هي فلسفة صراع بين المتناقضات، قد تنتهي إلى الجمع بين المختلفات أو يقوض فيها الضد ضده لإنشاء بديل مغاير، وهي المدرسة التي يتكون فيها الكائن البشري ليتعلم

منها أن الوجود حياة والحياة إرادة.

• كان لفلسفة الجمع بين المتناقضات دورها في تفسير الوقائع الأخلاقية، ثم تقويض القيم السائدة التي لقنتها الشعوب المقهورة لنفسها، حينما شعرت بالعجز عن إدراك المطامع السامية.

• تسفر فلسفة الجمع بين المتناقضات على خلاصة مفادها أن الذات كائن مبهم، تؤسس بواطنه كتلة من المتناقضات تتصارع فيما بينها لتجعله خاضعا لارتيابه الوجداني أو فارضا لنفسه (احتراق قادر على التجدد).

• تمحو فلسفة المزج بين المتناقضات خيبة الأمل والشعور بالعدم كونها تتجاوز ذلك التناقض الحاصل بين عالم الطموح والرغبة، والعالم الفعلي الذي نشكله نحن وهذا من خلال الارتقاء بالذات.

• تتفق الساردة مع فلسفة نيتشه التي تنفي حياة الاستقرار؛ لأنها ترى أن الناس مقابر متحركة، وتؤكد على مبدئه في إرادة القوة المثبت لقانون المقاومة والمحقق لتأكيد الوجود وتعزيز الحياة.

إن نيتشه والزهرة رميج هما معا الشعور التاريخي الذي يعود على نفسه، ويتأمل الماضي معلنا غلق السجلات السابقة المكرسة لدستور المهانة والقهر والانحطاط (رفض التاريخ).

## الحواشي والإحالات

(1) إبراهيم مصطفى إبراهيم، الفلسفة الحديثة من كانط إلى رينوفييه، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية،2009، ج2، ص 200

(2) سعيد علوش: معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني وسوشبريس، بيروت والمغرب، ط1، 1985، ص 59.

(3) الزهرة رميج: رواية الناجون، فضاءات للنشر والتوزيع، المغرب، ط1،2012، ص 268.

(4) فريديريش نيتشه: هكذا تكلم زرادشت، تر علي مصباح، منشورات الجمل، بغداد، ط1،2007، ص 11- 12.

(5) الرواية، ص 178.

(6) فريدريك نيتشه: إرادة القوة، محاولة لقلب كل القيم، تر محمد الناجي، دار إفريقيا الشرق، المغرب، ط1، 2011، ص 220.

(7). عبد الرحمن بدوي: موسوعة الفلسفة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1984، ج 1، ص،77.

(8) عبد الملك مرتاض: بنية الخطاب الشعري، دراسة تشريحية لقصيدة أشجان يمانية، دار الحداثة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1،1986 ص 143.

(9) الرواية، ص 166.

(10) إميل برهييه: تاريخ الفلسفة (لفلسفة الحديثة)، تر جورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط1، 1987، ج7، ص126.

(11) لرواية، ص 177.

[12] إبراهيم رماني: المدينة في الشعر العربي الجزائر أنموذجا 1925.1962، دار هومة لطباعة والنشر والتوزيع الجزائر، ط2، 2001، ص 129

[13] بدر عبد الملك: الإنسان والجدار، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق، ط1، 1997، ص191.

[14] الرواية، ص 202.

[15] أسماء شاهين: جماليات المكان في روايات جبرا إبراهيم جبرا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ودار فارس للنشر والتوزيع، بيروت والأردن، ط1،2001، ص،126.

[16] الرواية، ص 366. م

[17] وليم كلي رايت: تاريخ الفلسفة الحديثة، تر محمود سيد أحمد، تقديم إمام عبد الفتاح إمام، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2010، ص 376.

[18] الرواية، ص355.

[19] وليم كلي رايت: تاريخ الفلسفة الحديثة، ص 376.

[20] عبد الرحمن بدوي: خلاصة الفكر الأوروبي، سلسلة الفلاسفة، نيتشه، وكالة المطبوعات، الكويت، ط5، 1975، ص 25-26

[21] الرواية، ص 198.

[22] الرواية، ص 260.

[23] الرواية، ص 130

[24] الرواية، ص 128.

[25] الرواية، 128.

[26] الرواية، ص .132

[27] الرواية، ص 268.

[28] عبد الرحمن بدوي: خلاصة الفكر الأوروبي، سلسلة الفلاسفة، نيتشه، ص23.

* أشارت الساردة في كثير من المواضع إلى الذات الجامعة بين المتناقضات وتساءلت عن كيفية التعايش مع هذه التناقضات، ص40 (وهل النقيض يبحث عن نقيضه؟) ص 83 (كيف نلتقي وقد بدأنا من طريقين مختلفين) ص 99 (سألت عن الأسباب التي تغيره من النقيض إلى النقيض) ص 256 (ما هي التجربة التي جعلتك تغيرين رأيك من النقيض إلى النقيض) ص 261(كيف تتعايش مع هذا التناقض) ص 353(كيف تغير من النقيض إلى النقيض).

[29] الرواية، ص 204.

[30] الرواية، ص 225.

[31] سيجموند فرويد: الموجز في التحليل النفسي، تر سامي محمود علي، مراجعة مصطفى زيوار، مكتبة الأسرة، ط1، 2000، ص 54.

[32] الرواية، ص 267.

[33] الرواية، ص249.

** هذه بعض المواضع التي كررت فيها الساردة فعل الاحتراق: (نحرق دواخلنا لنطفئ الغضب، ص 17/ أريد أن أحترق، أريد أن لأشم رائحة قلبي وهو يشوى ص 295./ أحست برغبة جارفة في التلاشي... في الاندثار... في الغوص في أعماق الأرض... في الاحتراق، ص 298. )

(34) فريدريش نيتشه: في جنيالوجيا الأخلاق، تر: فتحي المسكيني، منشورات دار سيناترا، تونس، ط1، 2010، ص 15.

(35) عبد الرحمن بدوي: خلاصة الفكر الأوروبي، سلسلة الفلاسفة، نيتشه، ص 45.

(36) الرواية، ص 301.

(37) مدحت سعيد الجيار: الصورة الشعرية عند أبو القاسم الشابي، دار المعارف للكتاب، القاهرة، ط2ـ1995، ص 72.

(38) جمال مفرج: الفلسفة المعاصرة من المكاسب إلى الإخفاقات،الدار العربية ناشرون ومنشورات الاختلاف، لبنان، الجزائر، ط1،2009،ص57.

(39) محمد جواد مغنية: مذاهب فلسفية، دار مكتبة الهلال ودار الجواد، لبنان،( د ط )، ص 154.

(40) الرواية، ص 211.

(41) فريدريش نيتشه: ما وراء الخير والشر، تباشير فلسفة للمستقبل، مكتبة الفارابي، (د ط)، 1885، ص 104.

(42) عبد الرحمن بدوي: الموسوعة الفلسفية، ج2، ص 514

(43) الرواية، ص 209.

(44) الرواية، ص 209.

(45) وليم كلي رايت: تاريخ الفلسفة الحديثة، تر محمود سيد أحمد مراجعة إمام عبد الفتاح إمام، ص 375.

(46) فريديريش نيتشه: هكذا تكلم زرادشيت، ص112.

(47) الرواية، ص 161.

(48) محمد غنيمي هلال: النقد الأدبي الحديث، نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، 1997،ص277- 278

(49) عبد الرحمن بدوي: الموسوعة الفلسفية، ج2، ص514.

(50) إبراهيم محمود: جماليات الصمت في أصل المخفي والمكبوت، مركز الإنماء الحضاري، دمشق، ط1،2002،ص14.

(51) الرواية، ص 175.

(52) عبد الرحمن بدوي : الموسوعة الفلسفية، ج2، ص512.

(53) الرواية، ص157.

(54) برتداند رسل: تاريخ الفلسفة الغربية، الكتاب الثالث، الفلسفة الحديثة، تر: محمد فتحي الشنطي، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة،،( د ط )، 1977، ص 398.

(55) الرواية، ص 293.

(56) فريديريش نيتشه: هكذا تكلم زرادشيت، ص 87

(57) الرواية، ص 103.

(58) فريدريش نيتشه: ما وراء الخير و الشر، ص 106.

# the features of Nietzsche's philosophy in the survivors novel of " Zahra Rumij "

**By**: **Agti Nauoel**
Faculty of Arts and Languages - Mohamed Khider University of Biskra

## Abstract:

This research displays the features of Nietzsche's philosophy in the survivors novel of Zahra Rumij, because there is a tangle between the philosophical and narrative. The narrator agreed with Nietzsche in the principle of the will to power that self-assured and it contributed to self realization of existence.

This research is organized into four dimensions as following:

1- The existence and unification of opposites.

2 - place (the march of contrast to its contrast).

3 - time (authority to erase contrast).

4 - the self between two actions.

**Keywords:** Combining contradictions, desire for power, conflict, act of resistance, self.